القاهـــرة في ٣٠ اغسطس ١٩٨٥ .

أبى الحبوب قداسة البابا شـــنودة الثالـث

تحيـة الحبـة والاحـترام المقرونـة بطلب بركـة صلواتكـــم .

حضرت الى القاهرة مع أسرتى لكى نجمع ما لدينا من متاع وكتب لكى نرتـــب استقرارنـا فى انجلترا . سألت عن قداستكم فقيل لى أنكم فى الدير ، وأنكم لـــن تعودوا قبل عيد النيروز .. أهنئكم بالعام القبطى الجديد سائلا لك ولكل فرد فى الكنيسة كل خـير . اظن أننى سـوف اغـادر القاهرة قبل العيـد .

اننى اؤكد لقداستكم اننى احمل لكم محبة حقيقية لا يمكن ان تموت لأنهـــا عطية الله الذى قهر الموت . واعتقد ان فى قلبكم محبة حقيقية ، وانها عطيـة مـن الله ، وبالتالى سوف تغلب كل الصعوبات والعوائق . هذا الرجاء نفسه هو اشبه بالمياه يغذى بذرة المحبة فتنمو رغم كل الصعوبات ، ولا توجد محبة حقيقية لا تمتحن .

ان قلبى لا يخطأ فى حدسـه . فهو يدرك من الطبيعة نفسها ، ان النهـار لا بد وان يشرق ، وان نسمات المحبة التى تهب من فرد وس الله سوف تنعش قلوبنـا لكى تأتلف فى " وحدانية القلب التى للمحبـة " . ومع هذه النسمات العطرة ارسل لكم هذه الرسالة بكل ما فى عطية اللـه من اخلاص وصد ق مؤكدا اننا سوف نلتقى فـى يـوم ما ، ان لم يكن على هذه الارض التى لا تزال تدور فى سيرها الطبيعى بـــين النور والظلمـة ... ففى رحاب ملكوت ربنا يسـوع المسيح الذى يشـرق هو فيـه بنور لا يغيـب ... وهناك عندما نتقابل قد نتذكر معا ما حدث لنا . وقد تـــرى أنت أثار الجروح التى سببتها لى ، والتى شفيت بقوة ربنا يسوع المسيح . وقد أرى أنا ايضا أثار الجروح التى سببتها لك ، ولكنها صارت تتجلى بنور الوداعـــة والاحتمـال ، وتحولت من جراح الى زينـة روحية متألقة ببهاء المحبة الالهيـة .

يأبى الحبوب . نحن شهود لمحبة المصلوب ، وهذه حقيقة هامة تجعلنـــا نلتقى مهما كانت الصعاب ، لأن هذه الشهادة هى التى تجمعنا رغم ارادتنـــا ، ولأن هذه هى وصيـة اللـه وعملـه فينـــا .

تمنيت أن أراك بعينى ، واذا كان هذا غير متاح فى الوقت الحاضر . فانـنى فى الواقع نفسـه أراك أو أرى بعض ملامحك فى ايقونات الكنائس ، واقوال النســاك ومن خلال خيط الدم القانى الذى يجمع صفحات التاريخ القبطى كله ، ويجمعنـــا كلنا فى لقاء شهادة للمحبة الالهية ، فى وسط عالم الظلمة الذى لا يعرف كيف يحب لأنه لا يعرف أن اللـه محبـة . سوف افتش عن ملامحك حتى أجدها ، ولن اكف عن البحث ... وسيكون بحثى دائما عند عرش ضابط الكل لأننى لا بد واجدك هنـــاك

ولا بد وأن التقى بكم فى الصلاة .

انى احاول أن انسى الماضى بتأمل المستقبل . وحتى المستقبل نفسه لا أقف طويلا عنده لأن ابعاد الزمان مشروخة بالتغيير ... وانما احاول أن اقف عند بهاء الابدية حيث يلتئم شرخ الزمان ، ولا يظهر فى الخليقة الجديدة التى فى يسوع المسيح ربنا ... وعندما يلتئم شرخ الزمان فى قلبى ، وبسبب عمل المسيح فسوف أراك وأرى الماضى المفتدى فى الرب ، وقد صار كله جديدا ... هذه الحياة الجديدة تجعل المحبة القديمة جديدة دائما ، لأن القدم هو عنصر قوة وتجديد فى المحبة ، وعنصر ضعف وتغيير خارج المحبة .

هل تذكر اول لقاء لنا ... كان عند بئر فى رحاب صحراء وادى النطرون قرب دير السريان فى شتاء ١٩٥٨ ... رتب ذلك اللقاء ابونا شنوده السريانى (نيافة الانبا يؤانس) ... هذه هى المحبة القديمة التى تتجدد دائما ... وهذه هى بداية محبتى لك ... لم تكن اسقفا ولا بطريركا ، ولم اكن سوى تلميذ فى السنة الثانية فى الاكليريكية ... الحمد لله لأن بداية هذه المحبة كانت ولا تزال من اجل الله ، واعتقد انها لا زالت كذلك ... فى ذلك اللقاء تركنا مع ابونا شنوده عند البئر وانطلقت وحدك الى المغارة ... يومها هبت نسمات الشتاء الباردة معلنة ان الغربة أفضل من الغرباء ... لقد آن وقت انطلاقى الى أرض الغربة . ليس مع نسمات باردة فى صحراء مصر ، وانما مع عواصف شتاء أبرد من شتاء مصر ... اتمنى ان يكون انطلاقى هو عودتك أنت والأنبا يؤانس لتجلسا معا عند بئر ماء الحياة .

سوف احمل معى الى انجلترا كنائس مصر القديمة حيث عشت طفولتى ، وسوف اشتاق كثيرا لكل ما فيها ، لاسيما رائحة البخور وجمال الايقونات ، بل حتى لرائحة تراب أرض مصر . والانسان يحمل فى قلبه الكثير ويشتاق الى ما فى داخله ... واذا كان الحب علاقة متبادلة . فان الكنائس والايقونات سوف تشتاق وتسأل عنى ، لأنها كصورة لله تحمل فى داخلنا الخليقة ، وتحملنا الخليقة فى داخلها لأننا خلقنا فيها ولها ، ولذلك تفتش عن نسمات الحياة الجديدة فينا ..... سوف تسأل عنى هذه الكنائس القديمة التى امتلأت بالدموع والتوسلات والصلوات والقداسات التى تركت فيها عطر المسيح ... سوف تصلى عنى هذه الاحجار وتسأل عن الابوة والبنوة ، وتطلب لنا هذه الوحدة الروحية .

سوف احمل هذه الكنوز الى انجلترا لكى تحول هذه الكنوز كون الغربة الى

كون الحبة والى كون كنائسى ... وسوف أجد بسبب ما احمل فى داخلى مئات الكنائس والايقونات ، وسوف تعطينى المعمودية رفقة مع الابرار وشهداء مصر وبركة صلواتهم . وعندما اشتاق لرؤياكم لأن رؤية العين تحصرنا ... سوف أجدك فى أشياء كثيرة مثل اشعار مارافرام ويعقوب السروجى لأننى اعتقد انك مثل هؤلاء النساك تحمل شهادة ربنا يسوع المسيح فى جسدك وفى روحك ... وفى عالم الحبة يجد الانسان ان الحكمة التى تجعله يلتقى بمن يحب ، ليس عند الحروف والكلمات فقط . بل ايضا عند الرؤية الصادقة التى تعلو على كل معانى الكلمات نفسها .

سوف اجدك فى صلوات الكنيسة الطقسية ، لاسيما تلك التى تدعونا الى الحضور الدائم فى السماء ... ألا تجد ان فرص اللقاء كثيرة وان اللقاء المباح اكثر مما نظن لأنه من الله ، واذا تعذر اللقاء بسبب ضعف الطبيعة الانسانية فان ما يوهب من الله يبقى دائما غالبا لكل ضعف .

أبى الحبوب قداسة البابا شنودة

اعبر لك عن دهشتى للاهتمام غير العادى الذى احاطنى ، وجعلنى احد الموضوعات الأساسية التى تشغل بالكم وبال الكنيسة ... صار اسمى على كل لسان ، وهذا جعلنى اهم بكثير مما استحق ... ارجوك لا تبذل أى جهد فى البحث عن خطاياى فهى ظاهرة ومعروفة ولا تحتاج لاثبات . أنا مستعد لأن اضيف الى خطاياى التى تعرفها قداستكم . ما لا تعرفه . فلماذا هذا الاهتمام غير العادى بانسان مثلى يعترف ليس فقط بما قاله داود النبى ، بل مستعد لأن يقول انه اقل من دودة . وصدقنى انا اعنى كل هذه الكلمات . انا اتحدث علنا عن ضعفاتى وعن عجزى عن الصوم ، وعن محاولتى للصلاة وفشلى . فلا تخلق لى صورة اكبر بكثير من صورتى الحقيقية . اذا كنت تريد ان تحاكمنى على خطاياى فانا مستعد لأن اقدم لك أدلة اكثر من الأدلة التى عندك ، ويعلم الله اننى اقول الحق .

اما عن الجانب الخاص بالعقيدة والذى عبرت عنه فى محاضرات ومذكرات وبعض الكتب ، فأنا اقول دائما اننى لست معصوما من الخطأ . واذا كان الاباء قد نفوا عن انفسهم العصمة ، فماذا اقول أنا عن نفسى وأنا اقل منهم بكثير . أنا مجرد مدرس لما تعلمته من آباء الكنيسة ، وكمدرس اشجع السامعين على البحث والدرس لأن النمو فى الفضيلة هو نمو فى المعرفة . ولم ازعم اننى معصوم اكتب أو انشر للمعصومين . وانما انا اقترح ادرس وادون البراهين والمراجع التى استخدمها . وأنا اسجل هنا بكل صراحة اننى حتى هذه اللحظة لا اعرف ما هو الخلاف العقيدى

بينى وبينكم ، وعلى اى عقيدة اختلفنا ، وأى عقيدة انكرت . ذلك اننا لم نلتقى منذ يونيو ١٩٨١ . كما ان قداستكم لم توجه لى ملاحظة واحدة عن أى موضوع خاص بالعقيدة . وكذلك ايضا لست اعرف ان لى تعليما عقائديا خاصا بى .. هذا غير صحيح بالمرة . واذا سألتنى عن أى مسألة خاصة بالعقيدة أو الطقس أو الكتاب المقدس فانا اشير دائما الى السند الذى اعتمد عليه فى اجابتى وهو كتابات الاباء التى ترجمها ونشرها غيرى . واذا كتب أحد ما ردا على كتاب أو مقالة أو مذكرات خاصة بى ، فهذا يجعلنى اسعد انسان . لأن هذا يعنى صدور كتاب جديد يضيف شيئا تركته أو اهملته أو لم اشعر بضرورته أو لا اعرفه . وانا لا ادعى انى اعرف الاباء اكثر من غيرى . وهكذا ترى قداستكم ان المجال الذى اتحرك فيه محدود ومعروف لأننى اقبل ما قبله الاباء ، وعلى حذر شديد مما هو غير مدون عند الأباء .

لقد حاولت جاهدا ايضاح حقيقة ثابتة فى تراثنا الكنسى ، وهى ان الاباء شرقا وغربا كان لهم ايمان واحد وعقيدة واحدة ، وانهم شرحوا العقيدة بطرق متنوعة واساليب مختلفة ، واننا يجب ان نسلك هذا السبيل ، لأن التعدد فى الشرح يحرر العقل من التطرف والتبعية لمعلم معين . والتعدد فى الاباء وطرق التفسير يعلم الانسان الحرية الروحية ، ويقود الى الابتعاد عن التمسك الحرفى بالايمان ... ولا داعى لاثبات حقيقة اختلاف الاباء فى شرح الكتاب المقدس وفى شرح موت المسيح على الصليب ، بل حتى فى شرح سر اتحاد اللاهوت بالناسوت فى ربنا يسوع المسيح ... ولم يكن مجمع خلقيدونية ٤٥١ الا نتيجة حتمية لاختلاف اللغة والفلسفة والثقافة والتيار الروحى النسكى . وهذه هى خلاصة الدراسات المعاصرة ، والتى كانت هى نفسها — الدراسات المعاصرة — سبب نجاح اقتراح قداستكم فى مؤتمر فيينا ١٩٧١ بقبول صيغة القداس القبطى عن اتحاد اللاهوت بالناسوت كصيغة مصالحة ... طبعا كان هذا مستحيلا منذ ربع قرن مضى . ولذلك اذا قلنا ان واحد من الاباء قال بهذا الرأى أو فسر هذه العبارة فان اثبات ذلك كما تعلم هو من أسهل الامور .

وهكذا اذا اختلفنا على شرح العقيدة فهذا أمر طبيعى ، خصوصا وان ما نختلف عليه كان محصورا فى داخل الكلية الاكليريكية ، ولم اكن أنا الذى نقلت الجدل الى الكنيسة كلها . وتنوع الاراء هو أصلا نابع من تنوع واختلاف الشخصيات ، وتنوع الشخصيات هو هبة الله لنا ، لأنه هو بذاته تعدد اعضاء الجسد الواحد الذى لا يلغى الوحدة بل يبنى الوحدة . فأنا قبطى اؤمن بأصالة التراث

القبطى المتد عبر ١٩٠٠ سنة . وهذا التراث غرس فى الاقباط حرية الرأى لأنه لم يفرض خلال هذا التاريخ الطويل رأيا رسميا ازاء شرح العقيدة أو الطقوس بل كانت الحرية اهم عناصر التربية الكنسية القبطية . وكتابات وشرح الايمان عند ابن المقفع ليست مثل شرح حبيب جرجس ، ولا حبيب جرجس مثل اثناسيوس . ومع ذلك فالكل يؤمن بعقيدة واحدة .

اننى ادعو الله ان يظل الأمر كذلك ، وان تبقى لنا الاراء المتعددة والشرح المتعدد فى اطار الايمان الواحد ، حتى لا يصبح أى شخص نسخة تامة لشخص آخر ، وحتى لا يسود التطرف أو الحرفية ، وحتى يتطور صراعنا الفكرى مع التيارات الأخرى غير المسيحية ، وذلك يعنى ان التنوع هو غنى محبة الله وتنوع مواهبه وعمله فينا .

لن أستعين بأسرة القديس كيرلس عمود الدين فى نشر ما لدى من دراسات وترجمة لآباء الكنيسة ، مع اننى اثق بأن تراثنا المصرى لا يقبل بأن يحاسب الناشر عن افكار المؤلف ، وهو قدر من جمال الحرية الروحية فى مصر ، جعل العديد من الكتب القديمة تنسخ فى مصر وحدها . بينما خافت مجتمعات أخرى من مجرد ذكر أسمائها .

اننى ارجو ان يكون حصاد الايام القادمة وفيرا ، وان يسود السلام مصر ، وان يحقق الله على يديكم الكثير ، وان تجلس على كرسى الكاروز سنينا سالمة .

ختاما . أضم تحية زوجتى وأولادى وهم يذكرونك بالخير ، ويرجون معى أن تذكرنا جميعا فى صلاتك ، لأن الصلاة هى الخير الأول الذى يجلب الخيرات الاعظم .

تحية المحبة والاحترام .

ابنكم

جورج حبيب بباوى